



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية / الدراسات العليا / ماجستير / الآداب
مادة دراسات اندلسية

المحاضرة الاولى //

الحياة الاجتماعية والسياسية في الاندلس

اعداد

أ. د. جمعة حسين يوسف

تعريف موجز بالادب الاندلسي / اهتم المؤرخون بالحديث عن السنوات الأولى لفتح الاندلس وطبيعة الظروف التي صاحبها ولنا ان نلقي نظره سريعة على هذه البلاد التي عرفت بأسماء كثيرة فقد اطلق عليها اسم ايبريا او ايبيرية او هباريا نسبة الى الايبيرين الذين كانوا من اقدم سكان هذه البلاد اما تسمية لغة الاندلس فتقترن بدخول قبائل الوندال الى اسبانية بعد الرومان (٤٠٨ - ٤٢٩ هـ) وهذه التسمية ترد بصيغ أخرى هي الاندلس والاندليش وفندلسيا وفندلس كما تدل صورة الكلمة في حروفها اللاتينية .

ويبحث الدكتور الطاهر المكي في اصل التسمية ويعود بها الى جذورها اذ يرى لها صورتين واحده جرمانية والأخرى لاتينية وقد يكون قد اخذا الفاتحون من افواه البربر . .

ويلاحظ التنوع في جغرافية الاندلس التي تقع الجنوب الغربي من اوربا وتحيطها المياه من اكثر جوانبها باستثناء سلسلة جبال البرت التي تفصلها عن جنوب فرنسا فمن الشمال الغربي والغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق والجنوب البحر الأبيض المتوسط الذي يعرف بالبحر الرومي وتظم الاندلس سلاسل جبلية تظم وديانا وانهارا كثيرة . ان تنوع جغرافية الاندلس جعلها فيما هي عليه من الجمال حيث اعتذر أبو عمران موسى بن سعيد عن فراقها وكتب في جواب ابي يحيى صاحب سبتة كيف افارقها وقد علم سيدي انها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الاقبياء .

هي الأرض لاورد لديها مكر ***** ولا ظل مقصور ولا روض مجذب

كتاب العقد الفريد ابن عبد ربه في وصف جمال الأندلس، وردت هاتان البيتان المشهورتان

يا أهل أندلسٍ لله دَرَكُكُمْ ماءً وظلٌّ وأنهارٌ وأشجار

ما جَنَّةُ الخُلدِ إلا في ديارِكُمْ ولو تخيَّرْتُ هذا كنتُ أختارُ

وهما من أكثر الأبيات تداولاً في تصوير بهاء الأندلس وخصبها كما أوردهما ابن عبد ربه ت ٣٢٨ هـ في العقد الفريد . كيف؟ ٥٣٠ هـ

افق صقيل وبساط مدبج وماء سائح وطائر مترنم بليل وكيف يعدل الاديب عن ارض على هذه الصفة .

ان فكرة فتح الاندلس كانت قديمة وهي تعود الى عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان فاتحوها ثاني الجماعتين اللتين أشاد بهما رسول الله محمد (ﷺ) وهو من معجزاته في حديث شريف عن فضل الجهاد في البحر وبعد ان فتح المسلمون شمال افريقية واستقروا بها سنة ٦٣ هـ توجهت الأنظار الى فتح الاندلس وكانت اول محاولة استكشافية سنة ٩١ هـ حين ارسل موسى بن نصير سرية مؤلفة من خمسمائة مقاتل وقد تكلفت تلك الحملة بالنجاح فاعقبتها فكرة الفتح حيث تولى قيادة الجيش طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ وكان العبور من سبتة بمراكب تجارية قدمها جوليان حاكم سبتة وقد نفذت هذه العملية في الليل بعد ان امضى نحو شهرين ونصف في التقدم نحو كورة شذونة وقعت فيها المعركة الفاصلة في (٢٨ رمضان ٩٢ هـ) وتذكر الروايات العربية ان جيوش الأعداء بلغت أربعين ألف مقاتل في اقل تقدير . وفي بعض الروايات بلغت مئة ألف وقد عرفت تلك الواقعة بأسماء كثيرة منها معركة البحيرة . وادي لكة . وادي بكة ، وادي البرباط حيث توغل جيش طارق بن زياد في أعماق شبة الجزيرة الايبيرية وكانت انباء الانتصارات تصل الى اسماع موسى بن نصير .

عصور الاندلس //

لابد لدارس تاريخ الاندلس ان يتعرف على المراحل التاريخية التي تعاقبت على الاندلس ونستطيع ان نجعلها في خمسة عهود .

أولاً: عهد الفتح والولادة (٩٢ - ٩٥) (٩٥ - ١٣٨)

ويشمل هذا العهد فتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد اسغرقت عمليات الفتح اربع سنوات ثم اعقبة عهد اولاة التابعين لملوك بني امية في دمشق وقد كان اول وال عبد العزيز بن موسى بن نصير واخر الولاة يوسف الفهري وتولى خلال هذا العهد حوالي عشرين واليا .

ثانياً : العهد الاموي (الامارة ، والخلافة ، والحجابه ، والفتنة) ١٣٨ - ٣١٦ - ٣٦٦ - ٣٩٩

ويستهل هذا العهد بدخول عبد الرحمن بن معاوية الاندلس وقضائه على اخر وال كان يحكمها حيث تنقطع الاندلس عن الخلافة ببغداد ويتولى حكم الاندلس سبعة امراء اخرهم عبد الرحمن الثالث الذي يعلن الخلافة لأول مرة سنة ٣١٦ هـ وقد قسم عصر الامارة الى عهدين (تأسيس الامارة ١٣٨ - ٢٠٦) (وصراع الامارة ٢٠٦ - ٣٠٠) .

وبعد وفاة الحكم المستنصر بالله سنة ٣٦٦ هـ يتولى هشام الثاني . وقد تولى بعده ولده عبد الملك وعبد الرحمن .

ثالثا : عهد ملوك الطوائف والمرابطين (٤٠٠ - ٤٨٤) (٤٨٤ - ٥٤٠)

ويبدأ الأول بسقوط الدولة الاموية وقيام ممالك مستقلة بشكل دويلات وقد حكم الاندلس أسر كثيرة وكيانات متنوعة اشهرها سبع اسر تركزت في ابرز الحواضر الاندلسية ولم تستمر الحال بملوك الطوائف حيث عادت الاندلس الى وحدتها السياسية بدخول المرابطين وقضائهم على ملوكها سنة ٤٨٤ هـ وكان مقيم تلك الدولة يوسف بن تاشفين واستمر حكم المرابطين حوالي نصف قرن .

ابعا : عهد الموحيدين (٥٤٠ - ٦٢٠ هـ)

ويبدأ هذا العهد بمجيء عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٤٣) خلفا لابن تومرت فمنذ عام ٥٤١ هـ تخضع الاندلس لحكم الموحيدين واستمر عهدهم حوالي قرن من الزمان حتى عهد بني الأحمر .

خامسا : عهد دولة بني الأحمر في مملكة غرناطة (٦٣٥ - ٨٩٧ هـ)

وتقوم هذه الدولة في رقعة صغيرة من بلاد الاندلس التي سقطت بأيدي الاسبان ويبقى المسلمون تحت سيادة بني الأحمر في غرناطة ويستمر حمهم حوالي قرنين ونصف ويمثل عهدهم نهاية الحكم الإسلامي في الاندلس حتى تسقط دولتهم هي الأخرى لتؤذن بمغيب شمس الاندلس الساطعة بعد حضارة إسلامية زاخرة استمرت حوالي ثمانية قرون .

المجتمع الاندلسي :

كان المجتمع الاندلسي بعد الفتح مؤلفا من عناصر شتى تضم سكان البلاد الأصليين كما تضم الفاتحين المسلمين وقد تعددت أصول سكان الاندلس واجناسهم منذ اقدم العصور تبعا لموجات الغزو والحروب التي تعرضت لها الاندلس . فقد نزلها البرابرة والقرطاجيون ثم استولى عليها الرومان والوندال والقوط .

. وقد اطلق المؤرخون على الذين دخلوا الإسلام من اهل البلاد الأصليين (الاسلامة) او (المسالمة) وابنائهم هم (المولدون) واما الصقالية فهم الذين كان يؤتى بهم من مختلف البلاد الافرنجية أطفالا ذكورا واناثا فترعاهم الدولة وينشؤون نشأة إسلامية . كما اطلق على اليهود والنصارى منهم (المعاهدون) او (المعاهدة) او اهل الذمة واختلطوا بالمجتمع الاندلسي . وبعضهم الذين قبلوا اللغة العربية وتبنوا بعض العادات الإسلامية بـ (المستعربين) واحتفظ عدد كبير من المولدين بأسماء اسرهم القديمة فأبن بشكوال ، وبنو قومس ، وبنو مرتين ، وبنو غرسية .

وقد اطلق اسامي جديدة على فئات من المجتمع الاندلسي في العصور الأخيرة منها (المدجنون) وهم الاندلسيون الذين لم يهاجروا من مناطق الاندلس التي سقطت بأيدي الاسبان كما فعل غيرهم ممن هاجر الى غرناطة وشمال افريقية فرارا بدينهم وبأنفسهم . واما مصطلح (المورسيكيين) فقد اطلق على مسلمي غرناطة بعد سقوطها بأيدي الاسبان سنة ٨٩٧ هـ والمقصود به المسلمون الصغار الذين اضطروا الى اظهار المسيحية وابطان الإسلام لما كانوا يواجهون من اضطهاد شديد مايزيد على قرن من الزمان .

ان تنوع العناصر الاجتماعية في الاندلس انتهى وفق قوانين الوراثة بمجتمع جديد يمكن ان ينهض بحركات التجديد فيه وفي كتاب نفح الطيب معلومات قيمة عن طبيعة المجتمع الاندلسي .

وهم اهل احتياط وتدبير وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال . وفي موضع اخر يشير الى ان بركة بلاد الاندلس ان المسافرين حيثما سار يجد الحوانيت في الفلوات والاودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه واللحم وغي ذلك من ضروب الأطعمة . واما مقام العلم عندهم فمقدم فالعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة والجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة . ويعرب ابن سعيد عن انتظام حياتهم فيما يحدثنا عن الخطط الاندلسية فخطه القضاء اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأمر الدين حتى السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي .